(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ) 3 خطب

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُور أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ القائل : (إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمدا عبدُ الله ورسوله القائل : (بَدَأَ الإِسْلاَمُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ..فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ) قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ! وَمَنِ الْغُرَبَاءُ ؟ قَالَ : (الَّذِينَ يُصْلِحُونَ إِذَا فَسَدَ النَّاسُ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد فيقول تعالى : (اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ) .

• سائل يقول : إذا كانت الآخرة هي المستقر فلماذا جعلنا الله فى هذه الدنيا نقاسى ونعانى ؟ نقول : جعلك الله فى الدنيا لِتُحَصِّلَ عملا صالحا تنال به درجات الجنة...لأن للجنة درجات وما بين كل درجة وأخرى مقدار ما بين السماوات والأرض ، فهذه الدنيا دار تحصيل علامات يستحق بها الإنسان درجة الجنة التى سعى لها فى الدنيا...تماما كما نرى فى المدرسة والجامعة من اجتهد فى العلوم والمعارف وحصَّل علامات عالية نال وظيفة تتناسب مع هذه العلامات ، فلولا المدرسة والجامعة ماعرفنا قدرات الناس! فهل يوضع رجل فى وظيفة مَا...وهو غير مناسب لها ؟ الجواب : لا... فكذلك ولله المثل الأعلى جعل الدنيا ساحة يتنافس فيها الجميع بالعمل الصالح لنيل درجات الجنة ، فمن سلك طريق الإستقامة دخل الجنة وكان من الناجين ، ومن سلك طريق الغواية دخل النار وكان من الهالكين ، فيجب أن تكون زاهدا فى الدنيا لأنها فانية ، ولفناء الدنيا وحقارتها فقد رفضها نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين عرضت عليه فيقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَبًا قُلْتُ : لاَ..يَارَبِّ!! وَلَكِنْ أَجُوعُ يَوْمًا وَأَشْبَعُ يَوْمًا ، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ) وفى رواية (أَجُوعُ يَوْمًا فأصبر ، وأَشْبَعُ يَوْمًا فأشكر) .

• أيظن المغرور بالدنيا أنه أكرم من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين أعرض عن الدنيا!!!؟ وهل نسي المغرور بالدنيا ما صنع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى حياته حين ربط الحجر على بطنه من شدة الجوع!!!؟ فلقد عاش صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زاهدًا في الدنيا حتى بعد أن فتحت عليه الفتوحات...فالذى يهتم بطلب الدنيا وفقط يخطئ طريق الآخرة...من هنا جاءت الآيات تحذر من الدنيا وتدعو إلى الزهد فيها كقوله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...) ويقول تعالى لمن ضيَّع عمرَه هباءً : (قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ * قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ * قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً لَوْأَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وقال تعالى (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ) وقد توعد الله كل من آثر الدنيا فقال : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَيُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ) .

• فكم تساوي الدنيا بالنسبة لأقلِّ نعيمٍ في الجنة ؟ لاشيء! قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ) ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ ؟) وكان أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول : أَلاَ وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدِ ارْتَحَلَتْ مُدْبِرَةً ، وَإِنَّ الآخِرَةَ قَدِ ارْتَحَلَتْ مُقْبِلَةً ، وَلِكُلٍّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بَنُونَ ، فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الآخِرَةِ وَلاَ تَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْيَوْمَ عَمَلٌ وَلاَ حِسَابَ ، وَغَدًا حِسَابٌ وَلاَ عَمَلٌ وقالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضى الله عنه : الدُّنْيَا دَارُ مَنْ لاَ دَارَ لَهُ ، وَمَالُ مَنْ لاَ مَالَ لَهُ ، وَلَهَا يَجْمَعُ مَنْ لاَ عَقْلَ لَهُ وهذا لُقْمَانَ رضي الله عنه يقول : يَابُنَيَّ! إِنَّكَ اسْتَدْبَرْتَ الدُّنْيَا مِنْ يَوْمِ نَزَلْتَهَا وَاسْتَقْبَلْتَ الآخِرَةَ! فَأَنْتَ إِلَى دَارٍ تَقْرُبُ مِنْهَا أَقْرَبُ إِلَى دَارٍ تُبَاعِدُ عَنْهَا!

ومن أقوال الحكماء : عتبت على الدنيا لرفعة جاهل * وخفض لذي علم فقالت خذ العذرا & بنو الجهل أبنائي لهذا رفعتهم وأهل التقى أبناء الضرتي الأخرى & أأترك أولادي يموتون ضيعة * وأرضع أبناء الضرتي الأخرى ؟ .

• فالدّنيا التي يذمّها الإسلامُ هي دنيا الشهواتِ والملهيات ، دنيا تضييع الحقوق والواجبات ، الدنيا التي تَشغل عن الله وتلهي عن الآخرة ، أما دنيا الطاعات فهذه يحبها الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كهذا الذى ينفق ماله ذات اليمين وذات الشمال يأخذه من حلال ويصرفه في وجوه الخير!!! وهؤلاء هم المتقون الذين وصفهم الله فقال : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ)

• فالله يريد لعبده أن يأخذ من الدنيا الزاد الذى يسعد به فى الآخرة لأنها الباقية إن شاء الله ، والجمعُ بين الدّين والدّنيا وبين التّقوى والغِنى من الإيمان لذلك كان من دعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي ، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي ، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي ، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ) .

• فالله عز وجل يحمي أحدكم من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراتع التهلكة!!! وعندما يُكشف عن المبتلى الغطاء ويُريه الله الحكمة منه...سوف يذوب خجلاً من الله على كل شيءٍ ابتلاه به ، فإن كان الله قد وهب لهذا الذكور ووهب لهذا الإناث أو حرم هذا من الأولاد ، أوجعل هذا عقيمًا ، أو جعل هذا فقيرًا وهذا غنيًا ، أو جعل هذا عليلاً وهذا صحيحًا ، أو جعل هذا بعاهة لا زمته فى حياته

أو ابتلى هذا بمرض خطير كالكنسر وغيره...حينما يكشف للعبد يوم القيامة الغطاء لايملك إلا أن يقول كلمة واحدة وهي : الحمد لله كما قال تعالى : (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) لذلك لما رأت الصحابة رضوان الله عليهم حرمان رسولهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الدنيا تنبه بعضهم إلى ذلك وخشي من المستقبل كسيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذى بدأ يسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الشق الآخر الذى كان الناس فيه قبل مجيء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فلقد كانوا في جاهلية عمياء وشر...وهم الآن فى نعيم ورخاء بقدوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فهل سيعود شر بعد هذا الخير ؟ لقد أدرك سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بفطرته أن طبيعة الحياة لا تعرف الثبات المطلق فهي فى تغيير مستمر فكما يقولون : دوام الحال من المحال نعم من حق الناس أن يفرحوا ويحتفلوا بهذا الخير وهو قدوم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المدينة ولكن عليهم أيضا أن يتأكدوا هل هذا الخير سيدوم ويستمر إلى الأبد أم أن الوضع سينقلب ؟ حقا إنه سؤال خطير وملمح دقيق! .

وإليكم نص الحديث كما جاء في البخاري ومسلم :

• قال رضي الله عنه : كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنْ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي! فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الْخَيْرِ...فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ ؟ قَالَ : (نَعَمْ) قُلْتُ : وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ ؟ قَالَ : (نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ) قُلْتُ : وَمَا دَخَنُهُ ؟ قَالَ : (قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ) قُلْتُ : فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرّ ؟ قَالَ : (نَعَمْ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا ؟ فَقَالَ : (هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا) قُلْتُ : فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ ؟ قَالَ : (تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ) قُلْتُ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلَا إِمَامٌ ؟ قَالَ : (فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ) .

• ألسنا فى هذا الزمان معشر المسلمين ؟ بلى لقد أصبحنا فيه...إذا كان كل شيء أخبرنا عنه رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدنيا قد تحقق وعشنا فيه فلماذا نطلب الدنيا!!! ؟ ولذلك قيل : مثل طالب الدنيا كمثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربه منه كلما ازداد عطشاً حتى يقتله ، وليقين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالآخرة لم يضع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبنة على لبنة حتى لحق بربه وقال :

(مَالِي وَلِلدُّنْيَا إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ قَالَ من القيلولة وهى النوم في الظهيرة فِي ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)

• فطالب الدنيا فقط تراه يكذب ويخدع وينافق ، يستخدم كل الحيل للوصول إلى المال...يروى أن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام صحبه رجل فى طريق فوقف عيسى عليه السلام يصلي ، ودخل الرجل القرية ليأتي بطعام فأتى بثلاثة أرغفة ، فلما أطال عيسى عليه السلام الصلاة جاع الرجل فأكل رغيفاً ، ولما أنهى عيسى عليه السلام الصلاة قال له أين الرغيف الثالث ؟ قال : ما كانا إلا رغيفين يكذب على نبي الله...فقال له : يا رجل!!! قال : ما كانا إلا رغيفين قال له : خيراً !!! فمر عيسى عليه السلام على ظباء الغزلان ترعى فنادى عيسى عليه السلام على ظبي من هذه الظباء وذبحه وشواه لكي يأكلوا وقبل أن يمد الرجل يده سأل عيسى عليه السلام ربه أن يحيي له هذا الظبي فأحياه الله!!! لأن عيسى كان يحيي الموتى بإذن الله كما قال تعالى : (وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ) فلما رأى الرجل الظبي حياً أمامه...وقد كانوا سيأكلونه تعجب وقال سبحان الله! فقال له عيسى عليه السلام : بحق مَنْ أراك هذه المعجزة مَنْ صاحب الرغيف الثالث ؟ قال : والله ما كانا إلا رغيفين...قال له : خيراً !!! فمر عيسى عليه السلام على نهر...فأخذ عيسى الرجل من يده ليعبر به على سطح الماء فتأخر الرجل ، فقال له : هيا...فمشي به عيسى عليه السلام على سطح الماء حتى اجتاز النهر...فقال الرجل : سبحان الله! نمشي على الماء! فقال له عيسى عليه السلام : بحق مَنْ أراك هذه المعجزة مَنْ صاحب الرغيف الثالث ؟ فقال له : والله ما كانا إلا رغيفين...فقال له : خيراً!!! فمر عيسى عليه السلام على أرض صحراء فيها رمال ، فجمع عيسى ثلاثة أكوام من الرمل متساوية ، وسأل عيسى عليه السلام ربه أن تصير هذه الأكوام الترابية ذهبا فكانت ذهبا بأمر الله... وأنتم تعرفون أن الذهب يذهب العقول...فقال له عيسى عليه السلام : الكوم الأول من الذهب لي ، والكوم الثاني لك ، والكوم الثالث لمن أكل الرغيف الثالث فقال الرجل : أنا الذي أكلت الرغيف الثالث ، فقال له عيسى عليه السلام : هي لك كلها وهذا فراق بيني وبينك...انظروا كيف كانت النهاية! فجلس الرجل بجانب الأكوام الثلاثة وهو يقول : سوف أبني وأشتري أطيانا وعقارات ، وسوف أعمل مزرعة ماشية! فمر عليه ثلاثة من قطاع الطرق ، فلما رأوا الثلاثة الأكوام من الذهب ذهبت عقولهم فقتلوه...ثم قالوا : فليذهب أحدنا ليشترى لنا طعاماً كي نأكل ، فذهب رجل منهم...انظروا إلى فتنة المال!!! فقال لنفسه : لماذا لا تضع سماً في الطعام فتقضي عليهما وتأخذ الذهب كله دون أن يعلم أحد بالخبر؟! وفي اللحظة نفسها يقول الرجلان : لماذا لانقتله ونقسم المال على اثنين ؟! فلما جاء الرجل بالطعام المسموم قتلاه ، وجلسا يأكلان الطعام فماتا!!! فلما رجع عيسى عليه السلام إلى المكان وجد أكوام الذهب كما هي في مكانها ووجد صاحبه وإلى جواره ثلاثة من الرجال فبكى عيسى عليه السلام وقال : هكذا الدنيا تفعل بأهلها!!! ألا فاذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً...كما قال تعالى :

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلاَئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا)

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)

(الثقة بالله وفى الله)

الحمد لله رب العالمين القائم على كل نفس بما كسبت أو اكتسبت سبحانه له الحكم وإليه ترجعون ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره....ونشهد أن لاإله إلا الله وحده لا شريك له القائل : (وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُواْ الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ اللّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله الذى قال : (ما مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إلا نَدِمَ) قالُوا : وفِيمَ نَدَامَتُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قالَ : (إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدِمَ أَنْ لا يَكُونَ ازْدَادَ ، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدِمَ أَنْ لايَكُونَ نَزَعَ) يعني تاب ورجع .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلي آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

عن ابن عباس رضي الله عنهما قالَ : قالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ... والنبيَّ ومَعَهُ الرَّجُلُ والرَّجُلان ، والنبيَّ لَيْسَ مَعَهُ أحَدٌ ، إذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أنَّهُمْ أمَّتِي ، فَقيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقَومُهُ ولكن انْظُرْ إلَى الأُفُقِ فَنَظَرتُ فإذا سَوادٌ عَظِيمٌ ، فَقيلَ لي : انْظُرْ إلَى الأفُقِ الآخَرِ...فإذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقيلَ لِي : هذِهِ أمَّتُكَ ومَعَهُمْ سَبْعُونَ ألفًا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ ولاعَذَابٍ) ومعنى الرُّهَيْطُ بضم الراء تصغير رهط = وهم دون عشرة أشخاص = ثُمَّ نَهَضَ صلى الله عليه وسلم فَدَخَلَ مَنْزِلَهُ ، فَخَاضَ النَّاسُ في أولئكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولاعَذَابٍ ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ صَحِبوا رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فى بداية أمر الدعوة ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : فَلَعَلَّهُمْ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإسْلامِ فَلَمْ يُشْرِكُوا بالله شَيئًا...فَخَرجَ عَلَيْهِمْ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : (مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟) فَأَخْبَرُوهُ فقالَ : (هُمُ الَّذِينَ لاَ يَرْقُونَ ، وَلا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَتَطَيَّرُونَ ، وعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فقامَ عُكَّاشَةُ بنُ محصنٍ فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَني مِنْهُمْ...فقالَ : (أَنْتَ مِنْهُمْ) ثُمَّ قامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ : ادْعُ اللهَ أنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ فَقالَ : (سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ) .

وفى رواية عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : (وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلاعَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ) نسأل الله أن يجعلنا في تلك الأعداد وأما البشارة الثانية فيدخل الجنة من أمّة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكثر ممن يدخلها من جميع الأمم السابقة وقد جاءت هذه البشارة عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثه الذي قال فيه لأصحابه يوما : (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟) قُلْنَا نَعَمْ قالَ : (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) قُلْنَا نَعَمْ قالَ : (أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ) قُلْنَا نَعَمْ قالَ : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنِّي لأَرْجُوأَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لايَدْخُلُهَا إلا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ وَمَاأَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إلا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِالأَسْوَدِ أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِالأَحْمَرِ) وأما البشارة الثالثة عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ : (أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ...ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ...وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ) فأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه البشرى تمثل ثلثي أهل الجنة فاللهم اجعلنا منهم آمين

• أيها المسلمون : إن الجنة سلعة غالية كما وصفها النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تستحق أن يضحى من أجلها ، فالطريق إلى الجنة يلزمه توكل على الله ويقين باليوم الآخر ولهذا الطريق علامات فما هي ؟

• أولا : فالموقن بلقاء الله يوم القيامة تراه حريصاً على أعماله خائفاً من عدم قبولها بسبب شرك أكبر أو شرك أصغر ، فالشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال وهذا جواب لسؤال سئلت عنه فى اللقاء السابق عن غير مسلم تبرع بنصف ماله فى أعمال الخير ، فالله يخلف عليه فى الدنيا فقط أما فى الآخرة فليس له فيها نصيب قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) وكذلك المن والرياء يبطلان الأعمال وقد قرنهما الله بالشرك الأكبر فى آية واحدة وساق مثالا على ذلك فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ...) فشرط قبول العمل أن يكون خالصا لوجه الله الكريم قال تعالى :

(فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً)

• ثانيا : والموقن بلقاء الله يوم القيامة تراه يغلب الخوف على الرجاء فيزهد فى الدنيا ، وليس معنى الزهد أن ينقطع عن الدنيا يقول تعالى : (وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) ولكن إذا حُرم الإنسان شيئا فليعلم بأن لله حكمة في ذلك...فالدنيا ليست غاية للمؤمن فهي طريق مرور فقط...فمنها تحصل الأعمال بدليل قوله تعالى في كثير من الآيات : (جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ويقول (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) ويقول (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) وقد تكون الأعمال عطاء أو ابتلاء ، أما الآخِرَة فهي لِلْمُتَّقِينَ خَاصَّة لاَ يُشَارِكهُمْ فِيهَا أَحَد فكما استمعتم فى اللقاء السابق إلى قوله (وَلَوْلا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) أي لو كان يقين المؤمن في الآخرة أعظم من يقينه في الدنيا لجعل الله بيوت الكفار من ذهب وفضة حتي لايكون لهم نصيب في الآخرة مقابل حسناتهم التى يقدمونها من علم وتكنولوجيا ، ولكن الله لم يجعل بيوت الكفار من ذهب وفضة حرصا علي عباده المؤمنين من الكفر...فالدنيا لا قيمة لها وقد ساق لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثالا على حقارة الدنيا وهوانها عند الله عندما مرعلى شاة ميتة فقال :

(أترون هذه الشاة هينة على أهلها) قالوا من هوانها ألقوها قال : (والذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها ولو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) فكما قلت لكم فى اللقاء السابق لاتنظروا إلى من حولكم فهؤلاء يعيشون فى زمنهم ولا زمن لهم غيره ، ولقد استمعتم قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لسيدنا عمر رضي الله عنه :

(أَوَ فِي شَكّ أَنْتَ يَا اِبْنَ الْخَطَّاب ؟ أُولَئِكَ قَوْم عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتهمْ فِي حَيَاتهمْ الدُّنْيَا...وَنَحْنُ قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي الْآخِرَةِ)

• فالتزود بالأعمال الصالحة سبيل الجنة إن شاء الله قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) فما هي الأعمال الصالحة ؟ الأعمال الصالحة كثيرة جدا...فهي ليست تطبيقا لأركان الإسلام فحسب...بل تشمل جميع شئون الحياة من معاملات وأخلاق ولعل على رأس هذه الأعمال :

• أولا : الدعوة إلى الله عز وجل فهي من أفضل الأعمال : لأنها إنقاذ للناس من الظلمات إلى النور ، وهي من أحب الأعمال إلى الله لذلك فالله يرغب فى العمل بها فيقول تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) .

• ثانيا : البعد عن الظلم بشتى صوره : إذا علم كل منا بأنه سيحاسب نفسه أمام ربه يوم القيامة وأمام خلقه لن يسمح لنفسه بالظلم أبدا ولم لا ؟ فالله يقول : (وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً) وكل قول أو فعل صدر منه فى حياته سيراه فى صحيفته إلا إذا جدد صحيفته.....قال تعالى : (يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) ويقول : (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) .

• فاللهث وراء الدنيا والعمل لها صفقة خاسرة مع أن سلفنا الصالح لم يكونوا هكذا...فلقد عاشوا في شدة وعاشوا فى رخاء ومع ذلك لم يُفتنوا بالدنيا بل كانوا أعبد الناس...كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار ، لقد عاشوا في الدنيا على الكفاف فعزوا وسادوا لقد كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخشى على أمته من بسط الدنيا ولم لا ؟ لما قدم أبو عبيدة بمال من البحرين سمعت الأنصار بقدومه فلما فرغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من صلاة الفجر تعرضوا له فتبسم حين رآهم ثم قال : (أظنكم سمعتم أن أباعبيدة قدم بشيء) قالوا أجل يا رسول الله قال : (فأبشروا وأملوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) .

• والغفلة عن الآخرة أيضا صفقة خاسرة مع أنها الباقية كما قال تعالى : (وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) ويقول لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الأُولَى) فهاهي الدنيا فى قوله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) وهاهي الآخرة نعيم دائم ورضوان من الله فى الآية التى بعدها مباشرة قال تعالى : (قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ) .

• ومن الأعمال الصالحة كذلك الصبر على أذى الناس وتحمل سوء الخلق منهم : فقد روي أن أبا حنيفة رضي الله عنه كان له مال عند مجوسي فذهب إلى داره ليطالبه به ، فلما وصل إلى باب دار المجوسي وقع على نعله نجاسة فنفض نعله فارتفعت النجاسة عن نعله ووقعت على حائط المجوسي فتحير أبوحنيفة وقال : إن تركتها كانت ذلك سببا لقبح جدار هذا المجوسي وإن حككتها إنحدر التراب من الحائط فتعرى جداره ، فدق الباب فخرجت الجارية فقال لها : قولي لمولاك إن أباحنيفة بالباب فخرج إليه وأخذ يعتذر... فقال أبوحنيفة : دعنا من هذا وذكر قصة الجدار وكيف السبيل إلى تطهيره...فقال المجوسي فأنا أبدأ بتطهير نفسي وأعلن إسلامه وأيضا ما كان مع ابراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى...فإبراهيم بن أدهم كان من أبناء الملوك ، خرج يوما فى رحلة صيد فتعقب ثعلبا أو أرنبا فسمع صوتا يخاطبه : ألهذا خلقت أم بهذا أمرت ؟ سمع هذا الصوت ثلاث مرات فنزل من على فرسه وترك الدنيا وأقبل على الله فكان من الزاهدين...لقد مر يهودي على ابراهيم بن أدهم ومعه كلب فقال له : أيهما أطهر لحيتك أم ذيل كلبي ؟ فرد عليه بهدوء فقال : إن كانت لحيتي في الجنة فهي أطهر من ذيل كلبك...وإن كانت لحيتى في النار فذيل كلبك أطهر منها...فلم يملك اليهودي نفسه حتى قال : أشهد أن لا اله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ثم قال : هذه أخلاق الأنبياء .

وعنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)

خطبة موجزة من موضوع الخطبة

(الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ)

إِنَّ الْحَمْدَ للهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَتُوبُ إِلَيْهِ ، وَنَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ القائل : (فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ * أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ونشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبد الله ورسوله القائل : (الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ) اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى الدين ! وبعد فيقول الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً * أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا) ويقول النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلا عَذَابٍ مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا وَثَلاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ) وعن بعض الصحابة قالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأصحابه : (أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟) قالَ...فَكَبَّرْنَا! ثُمَّ قالَ : (أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟) قالَ...فَكَبَّرْنَا! ثُمَّ قالَ : (إِنِّي لأَرْجُوأَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ! وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ : مَا الْمُسْلِمُونَ فِي الْكُفَّارِ إِلاَّ كَشَعْرَةٍ بَيْضَاءَ فِي ثَوْرٍ أَسْوَدَ ، أَوْ كَشَعْرَةٍ سَوْدَاءَ فِي ثَوْرٍ أَبْيَضَ) ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ! ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ! وَأَرْبَعُونَ مِنْ سَائِرِ الأُمَمِ) فأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذه البشرى ثلثي أهل الجنة! ولكن كيف الطريق إلى هذا النعيم ؟ الطريق مُيَسَّرٌ لمن يرغب ! ألم يقل الله : (فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى) فَمَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فهذا يقين بلقاء الله ! وطريق اليقين للقاء الله أمران :

• الأمر الأول : ترى الموقن بلقاء الله يكثر من عمل الصالحات ومع ذلك تراه خائفاً من عدم قبول أعماله ! لأن الأعمال لا تقبل بشرك أكبر أو شرك أصغر! فالشرك الأكبر أن يعتقد المرء بأن مع الله غيره! فمن اعتقد ذلك فليس له أجر فى الآخرة قال تعالى : (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) وأما الشرك الأصغر فهو المن أو الرياء وقد قرنهما الله بالشرك الأكبر فى آية واحدة وساق مثالا على ذلك فقال تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ...) فشرط قبول العمل أن يكون خالصا لوجه الله الكريم قال تعالى : (فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً) .

• الأمر الثانى : ترى الموقن بلقاء الله يغلب جانب الخوف على جانب الرجاء فيؤثر نعيم الآخرة على الدنيا! فنعيم الآخرة جعله الله جزاء على العمل الصالح فى الدنيا قال تعالى : (جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) ويقول (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) ويقول (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ) ونعيم الدّنيا لا يمثل شيئا فى نعيم الآخرة قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مِثْلُ مَايَجْعَلُ أَحَدُكُمْ أُصْبُعَهُ فِي الْيَمِّ فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ ؟) فنعيم الدنيا مشترك بين المسلم وغير المسلم لقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَإِنَّ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ وَلايُعْطِي الدِّينَ إلا لِمَنْ أَحَبَّ ! فَمَنْ أَعْطَاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ) أما نعيم الأخرة فهو لِلْمُسلمين خَاصَّة لاَ يُشَارِكهُمْ فِيه أَحَد قال تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) ولقائل يقول : فكيف يأخذ غير المسلم جزاءه من أعماله الصالحة ؟ نقول : يعطيه الله جزاءه فى الدنيا كما ترون من علم وتكنولوجيا ومال ! ولولا رحمة الله بالمؤمنين أن يكفروا بالله لجعل بيوت الكفار ذهبا وفضة لقوله تعالى : (وَلَوْلا أن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * وَزُخْرُفاً وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ) .

• ومعنى الآية : لو كان يقين المؤمن في الآخرة أعظم من يقينه في الدنيا لجعل الله بيوت الكفار من ذهب وفضة حتي لا يكون لهم نصيب في الآخرة ! فالله يعطيهم من الدنيا والدنيا لا قيمة لها ! وقد ساق لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثالا على هوان الدنيا عند الله عندما مَرَّ على شَاةٌ مَيِّتَةٌ فقالَ : (أَتَرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى أَهْلِهَا ؟) قالُوا : مِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا يَا رَسُولَ اللهِّ ! قالَ : (فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لِلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِّ مِنْ هَذِهِ عَلَى أَهْلِهَا ، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِّ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةً) وقد دَخَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ الشَّرِيفِ فَبَكَى! فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا يُبْكِيكَ يَاعُمَرُ؟) قالَ : ذَكَرْتُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَمَا كَانَا فِيهِ مِنَ الدُّنْيَا ! وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِكَ الحَصِيرِ فَقالَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا ، وَنَحْنُ قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي الأَخِرَةِ) .

• فالدّنيا التي يذمّها الإسلامُ هي دنيَا الشهوات! فترى الدنيا فى قوله تعالى : (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ) وترى الآخرة فى الآية التى بعدها مباشرة : (قُلْ أُؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأسْحَارِ) فكيف بلغ المتقون هذه المنزلة ؟ بلغوها بالأعمال الصالحة فى الدنيا إقرءوا قول الله تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنْ اللَّيْلِ مَايَهْجَعُونَ * وَبِالأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) يقول سيدنا علي كرم الله وجهه : لا دارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يَسكُنُها * إلاّ الَّتي كانَ قَبلَ المَوتِ يبنيها * فَإن بَناها بِخَيرٍ طابَ مَسكَنُهُ * وَإن بَناها بَشَرٍّ خابَ بانيها ويوصى سيدنا لقمَانَ رضي الله عنه ابنه فيقول :

يَابُنَيَّ! إِنَّكَ اسْتَدْبَرْتَ الدُّنْيَا مِنْ يَوْمِ نَزَلْتَهَا وَاسْتَقْبَلْتَ الآخِرَةَ! فَأَنْتَ إِلَى دَارٍ تَقْرُبُ مِنْهَا أَقْرَبُ إِلَى دَارٍ تُبَاعِدُ عَنْهَا !

• فالعمل للدنيا فقط صفقة خاسرة مع أن سلفنا الصالح لم يكونوا هكذا! فلقد عاشوا في شدة وعاشوا فى رخاء ! ومع ذلك لم يُفتنوا بالدنيا بل كانوا أعبد الناس! كانوا رهبانا بالليل وفرسانا بالنهار! ومع ذلك فقد كان الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخشى على أمته من بسط الدنيا ! فقد سَمِعَتِ الأنْصَارُ بِقُدُومِ أَبِي عُبَيْدَةَ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَوَافَوْا صَلاةَ الْفَجْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! فَلَمَّا صَلَّى الرَّسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انْصَرَفَ فَتَعَرَّضُوا لَهُ فَتَبَسَّمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ رَآهُمْ ثم قال : (أَظُنُّكُمْ سَمِعْتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ ؟) قالُوا : أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قالَ : (فَأَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ ! فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ وَلَكِنِّي أَخْشَى أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ) .

• فالله أَقْرَبُ إِلَيْنَا مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ويعلم مايصلحنا ! فإن كان صلاحنا فى الإبتلاء ابتلانا فهو يحمي أحدكم من الدنيا كما يحمي الراعي غنمه من مراتع التهلكة! فإن كان الله قد وهب لهذا الذكور أو وهب لهذا الإناث أوحرم هذا من الأولاد! أو جعل هذا فقيرًا وهذا غنيًا ! أو ابتلى هذا بعاهة لازمته طول حياته وجعل هذا صحيحًا! عندما يُكشف الغطاء عن المُبْتَلَى يوم القيامة ويُريه الله الحكمة من هذا الإبتلاء! سوف يذوب خجلاً من الله على كل شيءٍ ابتلاه به ! عندئذ لايملك إلا أن يقول كلمة واحدة وهي : الحمد لله رب العالمين كما قال تعالى : (وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وعنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)